معارضة القرآن في المعيار الأسلوبي

- ممّن ادّعى النبّوة أنموذجا-

ا.م.د مشكور كاظم العوّادي

مركز دراسات الكوفة /جامعة الكوفة

المقدمة :

لقد تصّور المتهافتون على معارضةِ القرآن العظيم أنّهم وجدوا محطاً لأسلات أقلامهم في مسجّعات قصار سُورهِ ظنّاً منهم أنّها النقطة الأضعف في النّظم القرآني ، فحتّى لو صحّ تصورهم هذا فإنّهم لم ولن ينجحوا بمشروعهم المثلي أو المشابه الذي تحدّاهم به القرآن ، فإن كانوا قد قصُر باعهم عن مناطق الرّكاكة بحسب تصوّرهم فهم بلا أدنى شكّ عن غيرها أعجز .

فالسّجع في هذه السّور هو بمثابة كمائن نظامية صادّة عن مقاليد الإعجاز القرآني وذلك باقتناص ضعاف العقيدة والنفوس كالذين أسلموا زمن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ ارتدوا بعده زمن الخليفة أبي بكر - رضي الله عنه - الذي قاتلهم على الردة ؛ وهم أصحاب مسيلمة الكذّاب ممّن عارض القرآن وادعى النبّوة حتّى أنّ كثيراً من السجّاعين الذين لم يذهبوا إلى النّثر المبسوط ممّا كان على غير ماتصوروا وذهبت إليه أوهامهم أنّهم يستطيعون الإتيان بمثله عن طريق الدّجل والشّعوذة التي اعتادوها عليها في تكهينهم النّاس طوال حياتهم ، فقد كانت هذه المقاطع السجعيّة في قصار سور القرآن مثار اتّهام النّبي (ص) بالكاهن والشاعر والسّاحر أبان دعوته مع أنّها لم تنهج المنهج السّجعي النثري عند العرب فهي تربأ بنفسها عن هذه الأجواء والمقاصد بل انطوت على تثوير شديد للمعاني القريبة والبعيدة في الآيات الافاقية والأنفسية بما يفتح للناس من حقائق إيمانية وروافد معرفيّة مذهلة ، لاسيما وإن الإعجاز كان سليقياً أنذاك يتعاطونه كأنّه أمر مفروغ منه بالإثبات الوجداني بلا دراسة ولا تمحيص ، لذا فتّدهم القرآن من خلال التّحدي المعلن وغرّر بهم من خلال البيان الظاهر ، فأسلوبهُ بهذا الوصف جاذب ودافع في الوقت نفسه عن حياضه أن يدنسها أيّ واحد من المعارضين الذين سحقهم سحقاً كبيراً فضلاً عن أنّ معادلته الأسلوبيّة قد مثلت بحدّ ذاتها إعجازاً محورياً قادراً على التصدّي لمعانديه وتبكيتهم إلى الأبد ... وعلى ذلك لم تكن هناك معارضة حقيقية رزينة لأنها لم تكن لا بمثل القرآن ولا بأسلوبه ، فلو كانت لكان اشتهارها أحقّ وأقوى من القرآن هذا من جهة .. ومن جهة ثانية لتضاربها مع حقيقة الإعجاز القرآني المحيط بكل شيء بعموم هذه الكليّة التي لايعلم مداها إلاّ الله سبحانه وتعالى .

وبعد ، فإنّ محاولة الإدلاء الأسلوبي في هذا الموضوع كانت لاستشراف مانقل من معارضات موهومة عضدت إعجازية القرآن بدلاً من أن تضعفها لتهافتها أمام عظمتهِ الخالدة ...

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً ...

المدخل : القرآن والنبّوة

يمرّ القرآن عبر البوّابة الرسالية من الله جلّ وعلا ، لذا فالتّواصل الإيماني محكم بين القيمة القرآنيّة والقيمة النّبَويّة ، لأنّ القرآن هو المعجز لنبوّة الرّسول كما أنّ سلامة النبي محمد - صلى الله عليه وآله وسلّم - حصانة للقرآن العظيم . ((فما أشرفه من كتاب يتضمّن صدق مُتحملِه ورسالة تشتمل على قول مؤدّيها.))(١) .

من هنا كان التّحدّي القرآني بمن أنزل عليه القرآن لاثبات رساليّة حامل هذا الكتاب ونبوّته لكونه مرسلاً حقيقياً من المعجز (الله سبحانه وتعالى) وقد نجح القرآن في هذا المجال أيضاً لأنّ النّبيّ كان أمّياً ، وقد ذهب إلى الرفيق الأعلى وبقي الكتاب شاهداً على نفسه وعلى حامله أبد الآبدين ، فالنّبي محمد (ص) خالد بالكتاب الذي خلّده وخلّد نبوته برهنة وجدلاً ، وهذا من ضرورة المعجزة لصحة النبّوة لوجود الأثر التبادلي بين قوة الرّسالة والرّسول وبالعكس ، أي ((أنّ بقاء القرآن نصّاً وروحاً يعني أنّ نبوّة محمّد - صلى الله عليه وآله وسلّم - لم تفقد أهمّ وسيلة من وسائل إثباتها لأنّ القرآن ومايعّبر عنه من مبادىء الرسالة والشريعة كان هو الدليل الاستقرائي ... على نبوّة محمد - صلى الله عليه وآله وسلّم - وكونه رسولاً وهذا الدّليل يستمر مادام القرآن باقياً .))(٢) .

أما ما ادّعته المعارضة فكان يؤدي إلى نكران مبدأ النبّوة وجحدها من أساسها لأنّ ماجاءت به هذه المعارضة كان لا لأجل القرآن فحسب بل لحامله حتّى ينهار نفسياً ويترك الدعوة نتيجة الذي مارسوه عليه ولكنّ الله سبحانه قد سدّد نبيه اكراماً وتوفيقاً فكان له سبحانه ((ذلك التدبير الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا لهُ))(٣) وتدبيره تعالى هو التّحبيك الالهي والتهيئة والتّحصين في حفظ القرآن من أيّة مناوشات معارضة وبما لايسد باب العقل ومدخل التّحدي لأنّ دعوة القرآن الكريم للمواجهة صريحة وقائمة وهي تشهدُ شدّة اهتمامه بعرض الإنثيالات النفسية لهم ولمن غبر فلو لم تحصل المعارضة لما ذكر التحدّي والمعاجزة القرآنيّة عن طريق الرسول أو الكتاب أو المؤمنين لمن لايؤمن بمعجزة القرآن ..((ويدلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على أنّ التقريع لهم بالعجز كان فاشياً وان عجزهم كان ظاهراً))(٤) لذا كان مصير كل معارضة الفشل بالأمر الالهي ، فقوله تعالى : ((وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.))(٥) في احد معانيه من أن يكون له مثيلٌ معجز، لأنّهُ كتاب الرسالة السماوية الخالد وإنّ دلالته كما يقول الباقلاني : ((عن معجزة عامّة عمّت الثّقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجّة بها في أوّل وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد))(٦) .

ولمّا كانت معارضته المزعومة مرتبطة بأسباب سياسيّة فقد تهمّشت واضمحلت مع مرور السّنين لأنّ الله سبحانه يحقّ الحقّ ويبطل الباطل بكلماته ، أمّا الذين استيقنوا القرآن وأدركوا استحالة معارضته فهم ((لم يتكلموا في وجه الإعجاز ولم يلتفتوا إليه لأنّ برهانهُ قائم في نفوسهم))(٧). وإنّه لايشبه إطلاقاً ما ألفوه من كلام ما تحت ألسنتهم ، حتّى قال قائلهم في تعظيم شأنه عندما سمع رسول الله (ص) يقرؤه : ((والله لقد سمعت منه كلاماً ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجنّ وإنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ اعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنّهُ ليعلو ولا يعلى عليه وما يقول هذا بشر.))(٨) .

فها هنا يتجلى الانصداع الطبيعي والفطري لكلام الخالق وان كان صادراً عن مشرك أو كافر وهو (الوليد بن المغيرة) وكأنه تسليم لخصم قويّ عنيد واعتراف ضمني بالعجز عن الإتيان بمثله وبعبارة موجزة: يدل هذا الكلام على الأثر الوجداني العميق للنور القرآني في النفس البشرية سواء أكانت مؤمنة أم كافرة .

المبحث الأوّل:

"معارضة القرآن ومعارضوه بين الثبّوت والإثبات"

ان التطرق الى اثبات المعارضة يستوجب أولا البحث عن ثبوتيتها التاريخية اذ يتم اثبات مصداقية النص من خلال التحليل التاريخي لحقبة المعارضة ونصوصها والظروف السياسية المحتفة بها.

المعارضة وسجع الكهّان

يمكننا القول بمعارضة القرآن مجازاً أو من المجاز لأنّها لاترقى إلى نصوص الأدب العربي فكيف تصل بدرجتها للنصّ الالهي المعجز ؟ فهناك إشارات في تاريخ السيرة النّبَويّة فقد ((ذكر بعض من ادّعوا النبّوة وحاولوا مناهضة النبي في السلطة والسياسة والوصول إلى ماوصل اليه في حياته وبعد وفاته وإنّ بعضهم حاول نظم قرآن شبيه بالقرآن ليشرّع فيه للناس مايرى تعديله من شريعة النبي وليؤيّد نبوّته بمعارضة القرآن))(٩) والحقّ أنّها ضروب بائسة من الحماقة والتعصّب عارضت أوزان القرآن في تراكيبه وجنحت في أكثرها إلى سجع الكهّان لأنّ أصحابها حسبوا النبّوة ضرباً من الكهانة التي يأخذ الكاهن فيها أخباره من كائنات أرضية سفليّة (جنّ وشياطين) في مستقبل الزمان(١٠) ، إذ يعبّر عن ذاته التي يدّعي أنّها تتصل بالملأ الأعلى وهو في وضع آخر يحاول بجهد ذاتي أن يتصل بقوى غير منظورة تتعدّد هذه القوى بتعدّد الكهنة ، وإنّ عقيدة الكاهن هي التي تقرّر القوى المتصلة به ... ((وقد مضى العرب على أن يسمعوا للكهّان ويطيعوا ووقر ذلك في أنفسهم واستناموا إليه ولم يجدوا كلام الكهان إلاّ سجعاً .)) (١١) .

وممّا لاشكّ فيه إنّ للايقاع السّجعي اثراً في النفوس حينما يأتي مع الإيحاءات الخطابيّة لذا نلحظ رغبة الكهّان في استهواء من يستمع إليهم والتّأثّي إلى نفوسهم من هذا الباب بالتّوهم والتّخيّل ، فقد ظنوا أنّ الصّياغة القرآنيّة لا تفترق عن الصناعة الكهنوتيّة ، وعلى ذلك كان جلّ محاولاتهم احتذاء السّور القصار لأنّها تقترب أسلوبّياً لا معنويّاً من سجع الكهّان المتمرسّين على مزاولته أي أسلوب النفس القصير الذي يضاهي قصر الآيات .. وقد ضاق بهم هذا الأمر وهكذا توهّموا . عندما حاولوا الاتيان بمثله توهّماً أنّ الإثنين من جنس واحدٍ فحاولوا وأخفقوا ...

معارضو القرآن وأخبارهم :

ادّعى النبّوة ثلاثة ممن أضلّهم الله سُبحانه وتعالى فحجبهم عن نورهِ المُستبين وهم : مسيلمة الكذّاب في بني حنيفة ، وسجاح بنت الحارث التميمي التي ادّعت النبّوة في بني تميم ومسعود العنسي وقد ادّعى النبّوة فأتبعته

قبائل من مدحج واليمن وغلب على صنعاء .

فمسيلمة بن حبيب هو الذي تنبأ باليمامة في بني حنيفة على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن وفد عليه وأسلم ، فقد كان يصانع كلّ انسان ويتألفه ولا يبالي أن يطلع أحد منه على قبيح لأنه انما يتّخذ النبوّة سبباً إلى الملك فهو بذلك قد ارتدّ عن الإسلام حتّى عرض على رسول الله أن يشركه في الأمر أو يجعله له بعده وكتب إليه ذلك سنة عشر للهجرة . ((من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : سلام عليك . أمّا بعد : فإنّي قد أشركت في الأمر معك وإنّ لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكنّ قريشاً قوم يعتدون .))(١٢) فقدم الرسول - صلى الله عليه وسلّم - بهذا الكتاب رسولان من مسيلمة . فقال لهما الرسول - صلى الله عليه وسلّم - حين قرأ الكتاب : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول : كما قال ، فقال الرسول : أما والله لولا أنّ الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما ؛ ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمدٍ رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب : السلام على من اتبع الهدى ، أمّا بعد : الأرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين . ((وكان ذلك آخر سنة عشر))(١٣).

وقد زعم مسيلمة أنّ له قرآناً نزل عليه من السماء ويأتيه به ملك يسمّى رحمن ...

بيد أنّ قرآنه إنما كان فصولاً وجملاً بعضها مما يرسله وبعضها ممّا يترسل به في أمر إن عرض له وحادثة إنْ اتفقت ورأي إذا سئل فيه ... فمن قرآنه الذي زعمه قوله : ((والمبديات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً إهالة وسمناً ، لقد فضّلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعترّ فآووه والباغي فناونوه ...)) !

وقوله : ((والشّاء وألوانها وأعجبها السّود وألبانهم ، والشّاة السّوداء واللّبن الأبيض إنه لعجب محضٌ ، وقد حرّم المذق فما لكم لاتجتمعون .))(١٤) .

وقوله : الفيل ماالفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل .))

أما سجاح بنت الحارث بن سويد التميميّة وكانت في بني تغلب (وهم أخوالها) فهي راسخة في النصرانية وقد علمت من علمهم وتنبأت فيهم بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - في خلافة أبي بكر فأستجاب لها بعضهم وترك التنصّر ومالأها جماعة من رؤساء القبائل وقد خرجت بهم قاصدةً غزو أبي بكر رضي الله عنه ومرّت تقاتل قبائل وتوادع بعضها في الوقت الذي كان أمر مسيلمة قد غلظ واشتدت شوكة أهل اليمامة فنهدت له بجمعها ، وخافها مسيلمة ثم اجتمعا وعرض عليها أن يتزوجها ((وهي لم تدّع قرآناً وإنمّا كانت تزعم أنه يوحى إليها بما تأمر وتسجع في ذلك سَجْعاً كقولها حين أرادت مسيلمة : ((عليكم باليمامة، ودفّوا دفيف الحمامة ، فإنّها غزوة صرامة لايلحقكم بعدها ملامة))(١٥) .

وجاء في رواية الأغاني : ((إنّه كان فيما ادّعت أنه أنزل عليها :

((يأيها المؤمنون المتّقون لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكنّ قريشاً قوماً يبغون ...))(١٦) . ثم أسلمت وحسن إسلامها وما كانت نبوّتها إلاّ زَفافاً على مسيلمة ... !

((ومنهم عبهلة بن كعب الذي يقال له الأسود العنسي ، يلقب ذا الخمار لأنّهُ كان يقول : يأتيني ذوخمار ، وكان

رجلاً فصيحاً معروفاً بالكهانة والسّجع والخطابة والشّعر والنسب وقد تنبأ على عهد النبي - صلى الله عليه وسلّم - وخرج باليمن ولا يذكرون له قرآناً غير أنّه كان يزعم أنّ الوحي ينزل عليه ، وكان إذا ذهب مذهب التنبؤ أكبّ ثم رفع رأسه وقال : يقول لي : كيت وكيت ، يعني شيطانه وهذا الأسود كان جباراً وقتل قبل وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - بيوم وليله .))(١٧) .

احتمالات نقديّة نصّية :

إنّ احتمالات النقد في دائرة هذه النصوص مقبولة مع نوع من الحذر في معاطاتها تاريخاً وفكراً؛ لأنّها أينعت من قلوب مؤمنة بالقرآن وقد ترسّخ دين الإسلام فيها ، ممّا غلب الاستهزاء عليها بمن يعارض هذا الدين الذي استحكم في عقلية علمائه ، وعلى الجانب الآخر نجد من لايخضع لهذه النكتة الإيمانيّة كالمستشرقين أمثال (نولدكه) أو غيره؛ وهو يتجاوب مع هذا الجانب - مُردداً مزاعم سابقيهِ - إذ يعّد النقود السّالفة متحيّزة ويجب دراسة النصوص المعارضة من جديد في ضوء موقفٍ محايد للوصول إلى فلك الحقيقةِ(١٨) .

ومن هنا فالاحتمالات الاسلوبية والموضوعيّة مشرعة لاستجلاء مكامن كثيرة ، فمثلا- وبعدَ أن يشكّ الدّكتور أبو موسى في نسبة هذا الكلام إليهم لركاكته من جهة ، ولخدمة أغراضهم من جهة ثانية - يعترض على قبول معارضة القرآن بغير طريقته فممّا قال : ((هذه النصوص التي أثبتناها لا تجري على طريقة الكهّان وإنمّا هي كما قال الخطّابي متابعة لأسلوب القرآن ، نعم يمكن أن يقال إنّ العصبيّة القبليّة التي يعلمها مسيلمة في قومهِ جعلته لايبالي أن يجهر بمثل هذا السّخف لأنّه يعلم أنّهم ناصروه إن صادقاً وإن كاذباً وقد كانت تصرّفهم في جاهليّتهم هذه الروح المتعصّبة العمياء . قال أحد أتباعه : ((كاذب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مُضَر))(١٩) وعلى ذلك نقول صحيح إنّه كسجع الكهّان ولكنّه بيّنٌ لا لبسَ فيه لما تطلبتهُ مقاصدهم السياسية ، فاحتمال الوضع كامن لركاكته في بيئة الفصاحة تلك الرّكاكة المُثيرة للشّبهات ، واحتمال الصحّة كامن أيضاً لأنّ هذه النصوص تخدمُهم سياسيّاً مع غضّ النظر عن الأسلوب وهل هو سجعي أو غيره ؟ فالمهمّ عندهم تحقيق الدعوى المتوخّاة لمآربهم ليسَ غير .. والسّؤال الذي يطرح نفسه هل كان هؤلاء من الكهنة ، وهذا ماهو مرجح فإذا ثبت ذلك ازدادت احتماليّة نسبة تلك الأقوال المسجوعة إليهم لأنّها من صنيع عملهم السابق للإسلام ، وخلافه فهم يتكلّفون أسلوب الكهنة بمعنى أنه أمر مفتعل ...

وربمّا وضعت هذه الأقوال عليهم في عصر متأخّر عنهم لدواع سياسية أيضاً بعد احتدام النزاع بين الفرق والمذاهب الاسلامية ...

أمّا جعل المعارضة بين الثّبوت والإثبات فبلحاظ كونها قضيّة برهانيّة مقطوع فيها أو قضيّة ترجيحيّة قابلة للاحتمال .. وقد مثّلت معارضة القرآن محاولات لم تصل إلى إحدى المرحلتين إذ لم تحز على الثّبوتِ البُرهاني كما أنّها لم تتحلَّ بالتمّهيد العقلاني لذا فهي مناوشات ومغالطات من باب أولى ...

وعلى ماتقدّم ، فقد كان استمرار هذه المعارضة واندثارها تبعاً للظروف السياسية ، فالمعارضون في أغلبهم كانوا من اليمامة والحجاز وبعدما آلت الدولة الاسلامية إلى الاستقرار حاولوا مسح هذه الوصمات من تاريخ قبائلهم هذا من جهة ومن جهة ثانية تهلهل هذه النصوص ركاكتها بما لا يقبلها الذوق السليم .. فكيف بالعلماء .. وبذا

حملت ، نعش اندثارها معها ... وتلك عاقبة المبطلين ...

المبحث الثاني:

"معارضة القرآن في التّحليل الأسلوبي"

يعد التحليل الاسلوبي من وسائل تحليل النص المهمة وذلك لإثبات عائديته او تاريخيته او مدى صحته وبيانيته وهو تحليل معرفي متسلسل... أما معياريته فتكمن في كونه أداة للمفاضلة أو الموازنة بين النصوص المتباينة زمانا ومكانا ولعل استشراف المعارضة من هذا الباب- على تباينها وتهافتها- ممكن فيما يبدو عند التنظير والتقويم.

- الإبطال في الدعوى -

وهو يتبدى أوّلاً في خلوّها من شرائط المعارضات المتمثلة بقوّة الحجة ، وامتداد المعارضة ، زمانياً ومكانياً ، وهذا مايتطلّب توافر عنصري القيادة الحكيمة والالتفاف المؤيّد حتّى تمثل معارضة بحق ، ... وثانياً : في مخالفة المنطق ورسومه لأنّ حججها واهية في صياغة النصّوص لاسيما وأنّها تعارض القرآن المعجز وقد ((أحكم دقيقة وجليله وامتنع كثيره وقليله ... لاموضع فيه للتصفح ولامغمز للثقات ولامورد للمقالة ...))(٢٠) من هنا فلا يمكن تفنيدهُ بأيّ منطق آخر ، لذلك كانت معارضاتهم مهلهلة السّياقات ، سَاذجة المضمونات ، ركيكة المدّعى ، تفضح مدّعاهم ، ... وثالثاً : في بعدها عن قوانين الكلام أو أصول البيان العربي لأنها سجع متكلف بأسلوب سمج لاتهمهُ البلاغة والصّياغة وإنمّا المعارضة لأجل المعارضة ، ...

قال العلوي : ((وأمّا ما يحكى عن (مسيلمة) الكذّاب فهو بالخلاعة أحق منه بالمعارضة لنزول قدرهِ وتمكنهِ في الحماقة لأنّ من حق مايكون معارضاً أن يكون بينه وبين المعارض مقاربة ومداناةً بحيث يشتبه الأمر فيهما فأما إذا كان الكلامان في غاية البعد والانقطاع فلا يعدّ أحدهما معارضاً للآخر ..))(٢١) .

والتّقارب بين هذه المسائل المغرضة للمعارض في تقليده كان واضحاً بواره لأنّ المقاربة ممكنة لأي نص في الإتيان بمثله إلاّ نصّ القرآن الذي ينطوي على إعجاز يمنع من تمثيلهِ بأيّ شكل من الأشكال .

ولعلّ الرافعي - رحمه الله - يضعنا عند التفصيل البيّن في ذلك فيقول :

((وقد استيقن بلغاء العرب كل ذلك فاستيأسوا من حق المعارضة إذ وجدوا من القرآن مايغمر القوّة ويحيلُ الطبع ويخاذلُ النفس مصادمةً لا حيلة ولاخدعة وإنمّا سبيل المعارضة الممكنة التي يطمع فيها أن يكون لصاحبها جهة من جهات الكلام لم تؤخذ عليه ، وفن من فنون المعنى لم يستوف قبله ، وباب من أبواب الصنعة لم يصفق من دونه وأن تكون وجوه البيان له معرضة يأخذ في هذا ويعدل عن ذلك حتّى يستطيع أن يعارض الحسنة بالحسنة ويضع الكلمة بإزاء الكلمة ويقابل الجملة بالجملة ثم يصير الأمر بعد ذلك إلى مقدار التأثير الذي يكون لكلامهِ وإلى مبلغهِ من نفوس القوم من تأثير الكلام الذي يعارضهُ))(٢٢) .

وبعد التوافر على استيعاب هذه المؤهّلات التي تجعل من المعارضة ممكنة نقول : لاجهة ولا فن ولا باب في معارضات القرآن لأنها نصوص ارتجالية مهلهلة فهي بنت ساعتها ولبانة هوى أصحابها جاءت بها تياراتهم السياسية ومداخلاتهم البيئية الضيّقة فأتت متأرجحة بين سفاسف الكلم وتكلّف النظم غير ملجومة بلجام الفصاحة ، ولا منضبطة بنظام البلاغة ، فأصبحت هزءا لمن أتى بعدها ، ومعلماً ثابتاً لعظمة القرآن واسقاطاً معنوياً لمعارضيه أياً كانوا وأينما كانوا ...

فشرائط المعارضة الحقة وهي - وان استوفت - فلا نقول بنجاح بغيتها أمام حتمية الإعجاز والهيّته ... لأن العجز حاصل للجميع وما نقل هو الحقيقة ، والمعارضة هي معارضة خطلية نشرتها حماقة أصحابها ، أمّا المتمكنون من المعارضة القوية بمقدرتهم العالية ؛ كجهابذة قريش من الخطباء اللدّ والفصحاء اللسن كالمغيرة وغيره . ، ممن ذكرته النصوص والروايات فكانوا يتحلّون بحسّ عقلاني أوجب عليهم الصّمت حتى لايكونوا ممّن تلحقهم معرّة الفشل وفضيحة الخيبة فضلاً عن أنهم لم تكن لهم أهداف سياسية أخر ..

من هنا كان البيان في أنفسهم كما يقول الاستاذ محمود شاكر أجلّ من أن يخونوا الأمانة فيه ولمّا طالبهم الحقّ أن يأتوا بمثله ((لم ينصب لهم حكماً بل خلّى بينهم وبين الحكم على ما يأتون به معارضين له ثقة بإنصافهم في الحكم على البيان ، فهذه التخلية مرتبة من الإنصاف لاتدانيها مرتبة .))(٢٣) كما تتجلى في أهدافهم النصية غير العلمية سخافة وصفهم وغموض قصدهم وعبثية محاولاتهم بما آل إلى عدم حصول تلكم الأهداف ولتستبين عندها أن العملية كلها دجل وتمويه ... فكان ((مما قاله مسيلمة مدعياً أنه يضاهي به القرآن في بعض سوره القصار ما ذكره الخطابي قائلاً : نحو ما حكي عن مسيلمة من قوله : ((يا ضفدع نقّي كم تنقين لا الماء تكدّرين ولا الوارد تنفرّين .))(٢٤) .

قال الجاحظ معلقاً على هذا القول : ((ولا أدري ما هيّج مسيلمة على ذكرها ؟ ولم ساء رأيه فيها حتّى جعل بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه ياضفدع (نقي) كم تنقين ! نصفك في الماء ونصفك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين .))(٢٥).

((ولخلوّ هذا الكلام من كل نوع من الفوائد استشرف ابو بكر - رضي الله عنه - هذا المعنى - من قبل - حين طرقت سمعه قائلا: ((أشهد أن هذا الكلام لم يخرج من بال .))(٢٦) .

وهو يقصد أنّه لم يخرج عن ذهن فهو عبث ولغو من سفساف الكلام وتوافهه .. فلربمّا يكون من إلقاء شيطان أو شعوذه جان.. استراقاً وزيادة باطل ..

أمّا الخطابي فقد رأى في قول مسيلمة عبثيّة النصّ ذلك أنه لغو لاينتهي إلى غاية ، فقال : ((أمّا قول مسيلمة في الضفدع فمعلوم أنّه كلام خال من كلّ فائدة ؛ لا لفظه صحيح ، ولامعناه مستقيم ، ولا فيه شيء من الشرائط الثلاثة التي هي أركان البلاغة ، وانما تكلف هذا الكلام الغثّ لأجل مافيه من السجع ، والساجع عادته أن يجعل المعاني تابعة لسجعهِ ولايبالي بما يتكلّم به إذا استوت أساجيعه واطردت .))(٢٧).

ويبيّن الباقلاني ضرورة إيراد مثل هذه الأقوال على خستّها وسخفها وذلك للتصدّي لما تحمله من دسائس

مضلة ومنع انتشارها فيقول : ((فأمّا كلام مسيلمة الكذّاب وما زعم أنه قرآن فهو أخسّ من أن نشغل به وأسخف من أن نفكر فيه . وانما نقلنا منه طرفاً ليتعجب القارىء وليتبصّر الناظر ، فإنّه على سخافته قد أضلّ ، وعلى ركاكته قد أزلّ وميدان الجهل واسع ! ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديراً أن يحمد الله مارزقه من فهم وآتاه من علم .))(٢٨) .

إذن هذه هي الفوائد الأولى لمعركة المعاجزة القرآنيّة وقد توجت حكمتها لاستبانة السبيل ووضوح عظمة القرآن لجميع ساكني الأرض إذا مارفعت غشاوة الدّجل والتلبيس عن أعين الناس ، ولتبقى معجزته خالدةً إلى قيام الساعة ...

الاحتذاء البعيد:

وينضوي تحته تهافت الكلام لأنّ أسلوب المعارضة كان متهافتاً متسّرعاً ارتجاليّاً لاتضبطهُ ضوابط النصّ ، إذ امتد هذا الاسلوب بتناقضاته البنائية والبيانية بعيداً وذلك لأنّ أهدافهم كانت متضاربة الرؤى مضطربة الأنحاء هذا أوّلاً .. وثانياً : إن أغلب مقاصدهم كانت وهميّة وغير دقيقة وغير متوحّدة وهي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع لأنّها مستمدة من عدم إخلاصهم للقضية لاسيّما وأنّ هدفهم سياسي مؤقت ، بمعنى أنها كانت محاولات نفسية ((ولو كان هناك أقلّ قليل من المعارضة والإتيان بسورة واحدة من مثل القرآنْ ، لرفعه الضلال ناراً على علم))(٢٩) وقلبوا الدنيا ولم يقعدوها ولكنّ صمتهم دلّ على عجزهم في شروعهم الأوّل فعدلوا إلى الحرب ..

لقد أبان الرافعي رحمه الله هذا المطلب بدقة ، فقال : ((ولما حاول مسيلمة أن يعارضه جعل يطبع على قالبه فجاء بشيء لايشبهه ولا يشبه كلام نفسه وجنح إلى اقرب ما في الطباع الأنسانية وأقوى ما في أوهام العرب من طرق السجع فأخطأ الفصاحة من كلّ جهاتها ، وإنّ الرجل على ذلك لفصيح .))(٣٠) ولأهميّة هذا النصّ وقربه من مقولات البحث سنقف عنده بشيءٍ من التّفسير والتّحليل :

فقوله : ((جعل يطبع على قالبه)) أي قالب القرآن ، وقوله ((فجاء بشيء لايشبهه ولا يشبه كلام نفسه)) أي : فجاء بشيء لايشبهه بالتأكيد ، فأيّ تقليد للقرآن هو ليس القرآن ، .. ولا يشبه كلام نفسه من حيث التكلّف ، وهذا توريط زائد لمن يحاول تقليد القرآن فيكون ناتجه مشوّهاً ومسخاً فلا هو بالعائد إليه ولا بالمقترب من أسلوب القرآن .. وقوله ((وجنح إلى أقرب مافي الطباع الأنسانية وأقوى ما في أوهام العرب من طرق السجع .)) ويقصد بذلك الخيال في حين جاء القرآن خلواً من قوّة الخيال لأنّ مداره في الغالب الحقائق ... وقوله : ((فأخطأ الفصاحة من كل جهاتها)) لأنّه استعمل الخيال في غير مورده فالتبس عليه النصّ لا هو بالموضوع البشري ولا هو بمثيل المعجز الالهي فكان ممسوخاً... فتكلفة استجلب عليه عمليّة التهافت تلقائيّاً ، والتّساقط فيما بعد ، إذن فهو مقلّد لا معارض من الوجه الحقيقي ... وقوله : ((وإنّ الرجل على ذلك لفصيح .)) نعم إنّه كان فصيحاً ولكن بفصاحة الكهّان التي لا يمتلك غير نمطها السّجعي المنبثق من مهنته شبه الدّينية وهي الكهنة في الجاهلية ؛ فهو كاهن بني تميم ...

ويذكر الخطابي نصوصاً لمعارضات أخرى لم ينسبها منها قول بعضهم : ((ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين شراسيف وحشى)).

وقول الآخر : ((الفيل وما أدراك ما الفيل له مشفر طويل وذنب أثيل وما ذاك من خلق ربنا بقليل)). ويقول الخطابي في نقده لهذا الكلام : ((وانما تكلّف هذا الكلام الغثّ لأجل ما فيه من السّجع ، والسّاجع عادته أن يجعل المعاني تابعة لسجعه ولا يبالي بما يتكلّم به إذا استوت أساجيعه واطّردت .)) ثم يقول في موضع آخر : ((وأيّ بلاغة في هذا الكلام ؟ وأي معنى تحته ، وأي حكمة فيه حتّى يتوهّم أن فيه معارضة للقرآن أو مباراة له على وجه من الوجوه . ؟))(٣١)؛ وهو يؤكّد بذلك خلوّها من أوصاف المعارضة وشرائطها للتفاوت البعيد بينها وبين النص القرآني المعجز ، هذا أوّلاً ،

وأنّها نصوص مبتسرة عقيمة لم تصل إلى غاية واضحة أو هدفٍ رصين ثانياًوبذلك تكون هذه المحاولة التقريبية للمعارضة فاشلة أسلوبيّاً ...

استراق من القرآن :

من الجدير بالملاحظة في هذه المعارضة أنّها كانت مستندة إلى ماتعارضه وهذا يدلُّ في المنظور النقدي على افتقارها الشّديد للنصّ الذي تعارضه من جهة وعلى اعتراف ضمني بقوّة القرآن العظيم من جهة أخرى، ذلك أنّه ((لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد .))(٣٢) فقول مسيلمة الذي تعاطاه من الحماقة في : ((إنا أعطيناك الجماهر . فصل لربك وجاهر)) وكذلك ((والطاحنات طحناً)) على سياق النص القرآني تقليداً ، فاستعار الصّورة وترك المادة وأتى ببديل لها ، من هنا نقول : إنّ المحاكاة الأسلوبيّة عنده مع الاستبدال اللّفظي لاتمنحه اسلوباً ، أمّا فصاحته فهي متأتية من سجعه الكهنوتي المتمرس به ، فكان عليه أن يدرك التصوّر الذهني للأسلوب في نظم المعاني ثُمّ أين هو في سجعه من ثوابت النسق الأسلوبي التي أبان عنها الشيخ عبد القاهر الجرجاني في الاحتذاء والمزيّة حتّى يسترق بتلاؤم وتعادل أو يقتطع بعدولٍ . أو مجاز أو اتساع وتلطف ... قال الجرجاني : ((...فصعوبة ماصعب من السّجع هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ وذلك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجّعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافاً لها فلم تستطع ذلك إلاّ بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب أو دخلت في ضرب من المجاز أو أخذت في نوع من الاتساع وبعد أن تلطفت على الجملة ضرباً من التلطف .))(٣٣)

فمسيلمة لم يتأنَ أو يبحث عن هذه المزايا الفنية للمباهاة الأدبيّة ، لأنّ هدفه المكاسب الدعائية والمناصب السياسية بأيّ ثوبٍ خرج نصّه وإنْ كان متكلفاً مسجعاً ((بألفاظ تضاهي في وزنها كلمات من القرآن وأحياناً تكون مسروقة منه ولكن دون رابط أو نظم محكم))(٣٤) لاسيما وأنّ الرأي العام حوله يستقبل هذه المغالطات السّوقية والمساقطات الكلامية التي نراها مستهجنة في وقتنا الحاضر ليس غير .

فما يقوله الكاهن أنذاك يجب أن يؤخذ بالحسبان، من هنا يؤخذ النصّ بعقلية البيئة أوالمحيط السائد وليس بعقلية الناقد المتأخر عنه زماناً ومكاناً ...

أمّا قول مسيلمة : ((الفيل ماالفيل وما أدراك مالفيل ...)) فممّا قال عنه الخطّابي : ((أما علمت ياعاجز أن مثل

هذه الفاتحة إنما تجعل مقدمة لأمر عظيم الشأن فائت الوصف متناهي الغاية في معناه كقول الله تعالى : ((الْحَاقَّةُ (١)مَا الْحَاقَّةُ (٢)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ(٣))) و ((الْقَارِعَةُ (١)مَا الْقَارِعَةُ (٢)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣))) فذكر يوم القيامة وأتبعها من ذكر أوصافها وعظيم أهوالها مالاق بالمقدمة التي أسفلها وصدّر الخطبة بها فقال : ((يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ..)) إلى آخر السورة . وأنت علقت هذا القول على دابة يدركها البصر في مدى اللحظة ويحيط بمعانيها العلم في اليسير من مدّة الفكر ثم اقتصرت من عظيم مافيهِ من العجب على ذكر المشفر والذنب .. وإذ قد دلك فيالة رأيك وسوء اختيارك على معارضة القرآن العظيم بذكر الفيل وأوصافه فهلاً أتيت منها بما هو أشف قيلاً وأشفى وأجمع لخواص نعوتهِ وأوفى))(٣٥).

لقد أراد مسيلمة أن يجعل من سورة الفيل مشتركاً نسقياً مع معارضته فضلاً عن استراقهِ فاتحتها من سور أخرى كما تقدم ، ولكنّه لم يفلح وطاشت سهامه وتسربت أحلامه أدراج الرياح لغلبة هملجاتهِ على تلكم المعارضات المشحونة بالأجواء الكهنوتية .. ومن كان له عقل - كما يقول الباقلاني- لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام)) .(٣٦) ومما نقل عن نقد الخطابي وذمّه أقوال وردت على لسان مدّعي النبوّة :

((أمّا قول الآخر : الفيل ماالفيل وما أدراك مالفيل ،)) وقول صاحبه : ((ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ...)) قوله: ((فإنّ كل واحد من هذين الكلامين مع قصور آيه وقصر معانيه خالٍ من أوصاف المعارضات وإنمّا هو استراق واقتطاع من عرض كلام القرآن واحتذاء لبعض أمثلة نظومهِ وكلاّ لن يبلغوا شأوهُ أو يصيبوا في شيء من ذلك حذوه .))(٣٧) .وهذا ما يجلي أن مسيلمة قد افتقد خلفية الكلمات الروحية والنورية في باطنها المعنوي والتابع للحقائق الغيبية - الذي هو غير خاضع للمقدور البشري بل متأتٍ من مستوى ملائكي بحسب ايماننا بآلية الوحي الغيبية - وما استطاع عليه كان الوجهه الظاهرة من الكلمات أما الوجهة الخفية والباطنية فهي اردء من المقدور البشري العادي عنده لأنها متأتية من نفس وسواسي وإغواء شيطاني ومن إرهاصات الجن، وعندها كانت هذه الوجهة سوداوية مظلمة تنكس كلماته وتجعل نصوصه مدعاة للهزء والسخرية على الدّوام .

المبحث الثالث:

"التباين الأسلوبي بين المعارضة والسور القصار"

المعيار الاسلوبي والتباين:

وَما نعنيه بالمعيار الأسلوبي هو معيار سريع التأثير تبدو مهماته في كشف عبثية هذه المحاولات وتوثيقها على نحو جدي لاسيما وأنّها في عصر السموّ اللّغوي ؛ وهو يحتكم إلى الذائقة البيانية لأساليب العربية المعجزة إذ يتناول فرائد من أسلوب القرآن الكريم لتصبح شاهداً ثابتاً يصلح للموازنة به مع نصوص المعارضين مبيناً مدى تهافتها عن مستواه واختلافها اختلافا واسعا،فهي لاترقى إلى البيان العربي المتميّز في صدر الإسلام فكيف بمعارضتها للنصّ القرآني الذي تحدّى الأنس والجنّ فأعجزهم جميعاً زماناً ومكاناً ..

لذا فدراسة هذه المعارضات من جهة الأسلوب -في ضوء هذا المعيار- توضّح لنا أنّها كانتِ شحيحة من هذا الجانب لأنها نصوص سجعية مضطربة النسج ، مبتذلة المعنى ، متهافتة إلى أقصى الحدود كان هدفها الرئيس استجلاب عقول عامّة النّاس ...

وسنقف عند أهمّ أسس هذا المعيار في التبّاين الأسلوبي بين المعارضات والسّور القصار وهي الآتي :

-القوّة و التأثير :

مما لاشك فيه أنَّ مهمة مطابقة الكلام لمقتضى الحال هي مهمّة رئيسة في الاتساق الأسلوبي المتين إذ يقف في مقدّمها أداء المعنى وإمضاؤه على أكمل وجه وأن نتجنب مالا مسوّغ له من ابتذال وَسذاجة ، لذا فما وجدناه في هذه المعارضات من التّهافت والمحاكاة الهزيلة لإيقاعات قسم من قصار السور ما يفضحها وذلك لخلوها من المعاني القرآنيّة المتعالية وتسافلها إلى تدنيّات خياليّة وإلتياثات وهميّة .. فضلاً عن أنها جاءت بلحاظ قصر النفس في هذه السّور حتّى يظنّ المتطاول عليها أنّها سهلة التناول من باب التقليد السّجعي والتّماثل الايقاعي ... أمّا السور الطوال ولافتقادها هذين العنصرين فقد استعصت على الدّجل والمشابهة كلياً ..

فالقدرة المطلقة والقوّة القهّارة والصيّاغة المتفرّدة هي سمات النصّ القرآني المعجز وهي تنضحُ من جميع جوانبه فلا تحدّها حدود لأنها الهيمنة العلمية المطلقة ، والوعد الحقّ ، ((أنظر إلى آيات الكتاب العزيز من هذا الوجه وعلى سبيل المثال كيف تقرّر وتحكم قراراً وحكماً يتحدّى من صدر عليهم أن ينقضوه أو أن يثبتوا في أرض الواقع أنهم على خلاف ما وصمهم به من نقائض وعيوب رغم ما هم فيه من مزاعم هي من الطيّش والغرور .))(٣٨) وأنّ ما تقشعر له أبدانهم عند سماعهم القرآن كانوا يتصورونه بتأثير قوى روحية خارجية ينسبونها إلى العمل السحري في بيئتهم الجاهلية ، فالقرآن بقارئهِ ؛ فعندما كان رسول الله (ص) يقرؤه على أسماعهم كان ذا أثر نفسي لايمكن تخيّله لأننا لم نسمع القرآن من فم الرسول الأكرم ولذلك كانوا يهربون من سماع قراءته خشية أن يسحروا كما يزعمون ... والحق أنّ قراءته القرآن كانت تمثل شروق الحقيقة فلا وهم أو خيال فيما يقول ...

أمّا ما وجدناه من هذه المعارضات من ضعف وتلكؤ وسماجة فقد خلت معانيها من القوّة والحكمة وتناقضت أجزاؤها في الاسلوب والصياغة وفقراتها من الانسجام والتماسك وهي بذلك تومىء إلى مصدريتها الكهنية

السّحرية وهي الوهم بعينه ...

ولا تستشعر هذا التمّييز بين الحقيقة والوهم أو القوّة والضّعف إلاّ نفسٌ راسخة القدم في إيمانها وإخلاصها ، فموسى (ع) وهو نبيّ الله قد فرّ هارباً من كيد السّحرة حتّى أصبحت عصاه حقيقةً وجوديّة تتلقف عصيّهم ... فكيف يكون الحال من الجاهلين...!

الصحّة والتعليل

تكون الموازنة الأسلوبيّة بحسب أشكال المعاني وصورها وذلك لاختلاف الأحوال وتباين الأغراض وتعدّد المواقف ومن هنا تكون قيمة الأسلوب بمقدار تعبيرهِ عن هذه الأحوال والأغراض والمواقف اتّساقاً وإدلاءً وإبانة وبما أنّ القرآن العظيم لايتطرّق اليه التخيّل أوالتوهّم قيد شعرة فكلّ مشاهده واستعراضته حقيقية ولو على سبيل القصّ والتّمثيل لأنّها كلها حقائق فردية الهدف مُهمّتها توجيه النفس الانسانية وجهة توحيدية خالصة فهي أصحّ وأصدق ما حمل بيان .

أمّا النصّ المعارض فتراه ملتاثاً بكثير من التوهّمات والتخيّلات غير الراشدة والأجواء المتكلّفة حبكاً وأسلوباً مما يثير عند القارىء شهوية الخيال وإثارات الهوى ، أي أنّ مثل هذه النصوص تدعو إلى التسافل النفسي إذا ما أدمن أحدُ قراءتها لأنّ للكلمة تاثيراً ذا حدّين على النفس البشرية : تصاعداً وتسافلاً . فهذه النصّوص لاتستحق أن تكون قبال النّصّ القرآني بل هي على النقيض منه بالاتجّاه والهدف ، على حد نقد البقاعي مسيلمة وذم كلامه حين عارض سورة الكوثر بقوله:((لأنه كلام مع أنه قصير المدى ركيك اللحمة والسدى غريق الساحة والفنا... فاسد المعنى والبنا سافل الالفاظ مر الجنى لأن العلل منافية للمعلولات والشوامل منافرة للمشمولات...))(٣٩)

وهذا يعني فقدانه للتّرابط العضوي بين مقدمات كلامه وآواخره بما يدلل على أنها كلمات مرصوفة بلا اضفاء نورانية اتمامية وكمالية على نحو مباين لِمَا هو الحال بالنور الكلماتي للقرآن الكريم ولو أننا لا نحس بنوريتها ولكن هذا النور الاعجازي يعمل على تنظيم نسيجها البياني ككلمات مرصوفة في قرطاس، اذ يكمن هذا النور في كل آياته وسوره كمون الروح في جسد الحرف بل إن كل نص آخر يفتقد لهذه النورية يعد تقليدا عشوائيا مهلهلا للنص القرآني..

نقف مثلاً عند نقد الخطابي وذمّه لمسيلمة في قوله :

((الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل ومشفر طويل))

فقد جرّده من المقاييس البلاغيّة والنقدية قائلاً :

((فيقال الآن لصاحب الفيل : ياقائل ! إلى أيّ ؟ أين ما شرطناه من حدود البلاغة فيما جئت به من الكلام وأين ما وصفناه من رسوم المعارضات فيما هذيت من جهلك وضلالتك ، افتتحت قولك : بـ ((الفيل وما أدراك ما الفيل ...)) فهوّلت وروّعت وصعّدت وصوّبت ثم أخلفت ماوعدت وأخدجت ماولدت حين انقطعت وعلى ذكر الذنب والمشفر اقتصدت ولو كنت تعرف شيئاً من قوانين الكلام وأوضاع المنطق ورسومه لم تُحرّف القول عن جهته ولم تضعه في غير موضعه .))(٤٠)

وعلى ما تقدّم فهل يعقل أنّ مثل هذه النصوص المعارضة قد اكتسبت اليمامة وقبائل أخرى عديدة ؟ فأين السليقة اللّغوية والقدرة الناقدة المغروسة في طباعهم - وهي تعينهم كما يقول الدكتور أبو موسى- ((على تميّز طبقات الكلام يحْذقون بها نقده ويحكمون بها عياره وهم في غنية عن النظريات والأصول المدروسة التي يتأسّسُ عليها نقد الكلام ...))(٤١)

فلذا يحتمل أن تكون مثل هذه النصوص لخاصته فقط وليس للنّشر ولكن الذي أذاعها هو انتكاسهم وسقوط آثارهم بيد الجيوش الاسلامية بعد دخول العرب في دين الله وإذعانهم لهذه المعجزة البيّنة ، وربمّا يكون هذا من وحي الجنّ والشياطين ، وعندها تكون هذه اللّغة المتهافتة من نسجهما المشترك ... والاحتمالات واردة مصداقاً لقوله تعالى : ((قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))(٤٢)

فمسيلمة وأصحابه وسطاء بين الجنّ والقرآن ، وحتّى نصوصهم التقطيعية قد تكون من تسخير أسيادهم من الجن(٤٣) لأنّ فيها هزجاً سريعاً وإيقاعاً تلهبيّاً من سنخية النّار والذي تسميه العرب بـ ((إيحاء الجن)).

فقد اطّلع الجنّ على القرآن وعارضوه من خلال تسخيرهم وحيهم إلى مسيلمة من باب الوحي الشيطاني ... وذلك فمّا أشار اليه القرآن الكريم .

إذن فمسيلمة صادق فيما يوحى إليهِ على مستوى تفكيره أي أنّ الكلام ليس من عنده بل مما يُنفثُ في روعه من الجنّ ، وبذلك يكون معنى ((زاد الجنّ الأنس رهقاً أي خطيئة وإثماً))(٤٤) من هذا الباب ...

- المعارضة والاعجاز :

ان الاعجاز القرآني متأتٍ من حال العجز البشري قبال الابداع الالهي وهذا يقودنا الى وجوب ظهور مبدأ العجز في الاعجاز.

إذن فالمعجزة تحمل في طياتها الاعجاز الانبهاري والعجز (اللاتمكني) في آن واحد والدليل على ذلك إن كل معجزة قائمة بيد رسولها وهو وحده قادر على اقامتها أما الآخرون فعاجزون عن الاتيان بها، فعصا موسى (ع) لا تعمل الا في قبضته ومن هنا فالمعجزة تحمل في يد الرسول الوجه الباهر والمتألق وفي يد غيره العجز وعدم التمكن، ومن هذا المنظور يمكن القول إن الاعجاز ازدواجي الماهية من طرفي الايجاب والسلب فهو إعجاز لصاحب الرسالة وعجز للمقابل المعارض.

وعند التحليل يتكشف الإعجاز من خلال متانة الاسلوب القرآني المباين لأساليب الكلام المعتاد وخروجه عن العادة إذا ماقورن بأسلوب المعارضة المهلهل والمتغلب عليه سجع الكهان في أجواء تساحريّة مظلمة ؛ نفث ورفث من الكلام .. ومع ذلك ذهبوا إلى معارضة قصار سوره على قلّة كلماتها ، وفشلوا .. ويجد المتأمل أنّ فقدان سيطرتهم على التحدّي والتوهّان أمام إعجازه الخلاّق كان من انبهارهم بوطأته الحقيقية على مسامعهم وأفئدتهم تلك الوطأة العلمية الشّديدة التي جبلت عليها نفوسهم لأنّها خارج طوع ارادتهم وهنا فمما يغاير الانسان نفسه ((قول قريش عن القرآن : ((وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأوَّلِينَ))(٤٥) إنكاراً منهم لغرابة أسلوبه وما بهرهم من فصاحتهِ ويلزم هذا الكلام إقرارهم بالعجز عنه ثم غايروا أنفسهم في وقت آخر فقالوا : ((.. قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ

لقُلنا مِثْلَ هَذَا إنْ هَذَا إلاَّ أسَاطِيرُ الأوَّلِينَ))(٤٦)))(٤٧) ؛ ذلك أنّ قضية إعجاز القرآن هي أشدّ المعاجز النّبَويّة وجوداً فليس أمرها بالهيّن ولا مطاولتها باليسيرة ...

ففي قوله تعالى : ((إ إنّا أعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرُ(٣)))(٤٨) من المباينة الأسلوبيّة مما جاءت به معارضة مسيلمة في حماقاته كقوله : ((إنّا أعطيناك الجماهر فصلّ لربك وجاهر)) ...

فالنفس القصير لم يكن ذا قيمة عند البلغاء القدماء فهم يتباهون بالنفس الطويل شعراً ونثراً ، في حين انصبّت المعارضة على هذا النمط التّركيبي من السّجع الكهنوتي - وإن لم تصل إلى مستواه رتبة - وقد خلت من الروّية والنظر وإشراقة الوجة ودقة الصيّاغة وسموّ التّركيب ، فقصرت بها الدلالة وعندها لم تقع في النفس موقعاً يهزّ أو يعجب ولم يوقفها على مثلٍ نادر أو حكمة عالية ، كما هو الحال في فرائد الإعجاز القرآني الذي تاهت العقول في قرب جهته وحارت في خضم بحره . ومن هنا وجد التباين الأسلوبي نتيجة كون المعارض بشري القدرة وهو يحاول أن يحاكي نصّاً الهي القدرة يتناهى في الفصاحة فبدت الفجوة البيانية والأسلوبية واضحة بين النصّيّن .. ((والمتناهي في الفصاحة والعلم بالأساليب التي يقع فيها التفاصح - كما يَقُول الباقلاني - متى سمع القرآن عرف أنه معجز .))(٤٩) وهذا إدراك بعدم القدرة في مجاراة القرآن ، وهنا يقول الشيّخ عبد القاهر الجرجاني : ((فكما أنّه محال أن يكون ههنا إحياء ميّت لامن فعل الله كذلك محال أن يكون ههنا نظم مثل نظم القرآن لامن فعله تعالى فهذا هو .))(٥٠) أي بهذا الوصف المتفرّد من متانة السبك بحيث كيفما رتب - نزولا أو تدوينا- أعجز وهذا ما لا يتسنى للطاقة البشرية أن تأتي بمثله. وممّا جاء في هذه المباينة قول الخطّابي مبيناً رداءة قول مسيلمة :

((ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج منها نطفة تسعى بين صفاق وحشا من بين ذكر وأنثى وأموات وأحيا ثم إلى ربهم المنتهى .))

وأما قوله : ((أخرج منها نسمة تسعى بين شراسيف وحشى)) فانما تعاطى استراقاً من قول الله تعالى : ((خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦)يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ(٧))){سورة الطارق/الايتان:٦-٧} هذا أوّل تارات الخلقة التى ذكرها الله سبحانه عز وجل ثم ذكر في آية أخرى عدد انتقالاته في الرحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى لحم وإنشاء خلق بعد ذلك آخر وهو اجتماع الصورة ونفخ الرّوح فيها فدلّ بها على عظيم قدرته ولطيف حكمته وسعة رحمته فتبارك الله أحسن الخالقين ..))(٥١) أما الآية فهي قوله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أنشَأنَاهُخَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)))(٥٢).

ويرى الرافعي أنّ تميّز هذه الآيات ليس من صناعتها البيانية وذلك لتغلب النمط العلّمي السردي على تفسيرها البياني ولكن هذا لا يعني انعدام البيان بل غلبة العلم عليه فتصبح الاية من ايات الاعجاز العلمي اذ يقول:((ولكنها قائمة على دقائق التركيب العلمي والملاءمة كلّ الملاءمة بينها وبين دقائق التعّبير ففيها إعجاز في المعنى ثم إعجاز في الصّورة مع أنها في غرضها وسياقها مظنّة إلاّ يكون فيها من ذلك شيء إذ هي عبارة علمية تُسْرَدُ سرداً

على التقرير والحكاية وهذا مما يسمو بإعجازها سموّاً على حدةٍ فإنّه يضع فوق البلاغة ماتكون البلاغة في العادة والطبيعة فوقه .))(٥٣)

ونلحظ هنا تمثيلاً للعمليّة الخلقية التّسلسلية بما يلائم معطيات ثوابت العلم الحديث كتحصيل حاصل لا أكثر ، والإعجاز بالمعنى الأعمق فلا يعرفه إلاّ الرّاسخون في العلم ، أمّا الإعجاز في الصّورة فإنّه صوّر العمليّة في عصر لم يتطرقوا لهذا العلم أبداً وهي كمائن آنذاك ، فيكون هذا الإعجاز الاقتداري من ناحية مسلكية لفتح الكمون العلمي عبر الحقبة الزمنية المعروفة ... أمّا مايقصده بفوق البلاغة فلأنّ البلاغة فنّ محاكاتي يصوّر الحقائق قدر الإمكان والوسع والطّاقة أمّا الحقيقة بحدّ ذاتها فالعبارة تعجز عن تبيانها على نحو آليّ يسير.

وخلاصة ما تقدم فإن العنصر الأساس في الإعجاز هو النورية المتأصلة في السبك القرآني، لذا قيل إن الاعجاز سريّ النكهة، لأن النور ليس حسيّاً ولكنه تأثيري، اذ يؤثر في القضايا غير الحسية في الانسان وصولا الى اعمق أعماق النفس التي تمثل الجوهر الانساني فيه.

ولما كان النور القرآني من سنخ الجوهر الانساني فإن بينهما تاثيرا تبادليا في العقل الباطن أي في (منطقة اللاشعور)، وهي منطقة الفطرة أيضا.

وعليه فمقياس النص الالهي عن غيره يتمثل بالانطواء النوري المتشعشع في ثناياه وافتقاد ذلك في سواه ...

الخاتمة :

١ ـ تعد المعارضة قديمة في تحدي الأنبياء وتحدي معاجزهم، فمعارضة مسيلمة للقرآن كانت في الوجود اللغوي، فقد قيل إنه ألف قرآناً عارض به قرآن محمد (ص) ولكننا نجد ان هناك معارضة للمعاجز المادية فقد عورضت عصا موسى (ع) بعجل السامري الذي قلّد العمليّة الإعجازية الحقيقية بإيجاد شبيه، ولّد شبهة من خلال تصويت العجل ادعاءً بوجود روح فيه هو معجز ولكن بطريقة سحرية لا إعجازية نبوية كالتي هي في العصا..إذن هذه المعاجز ما كان منها صادقاً وما كان كاذباً إذ أن أساس تمحورها حول الحياة والموت، لذا نقول إن القرآن حيّ ومؤلف مسيلمة ميّت.

٢ـ أثبتت هذه المعارضات عجزهم الحقيقي أمام حتمية إعجاز القرآن والهيئه، وهو يدلل وجود معارضة وإلا ما جدوى الإعجاز فيه أو حتى نقول لو كانت هناك نية عند كفار قريش فقد أجهضت هذه لوجود الإعجاز هذا من جهة وإنّه لا يمكن نجاح معارضته وإنْ استوفت شرائطها من جهة أخرى لأنّه من السهل الممتنع ، فمن حيث سهولته غرّر بهم لكي يضعوا مايشابهه حتّى أحسّوا بضعف فطرتهم النافذة واستسلام ملكتهم العتيدة ، ومن حيث امتناعه أسلوبيّاً وبلاغيّاً فقد رأوا فيه جنساً من الكلام غير الذي تؤدّيه طباعهم ؛ وعندها سقطوا في هوّة الفشل الذريع.

٣ ـ إنّ للجنّ مدخليّة في تثبيت معادلة المعارضة أعني معارضة الإعجاز بطريق غير مباشر لأنّهم اطّلعوا على القرآن وعارضوه من خلال تسخيرهم (وحيهم) إلى مسيلمة وغيره من باب الوحي الشّيطاني وذلك بما أشار اليه القرآن الكريم . وبما دلتّنا الموازنة الأسلوبيّة على لغة المعارضة المتهافتة أنّها من نسجهما المشترك ...

٤ ـ كانت المعارضة السياسيّة للقرآن أشدّ وضوحاً من المعارضة الأسلوبيّة لاسيما وأنّها في داخل قبائل العرب وفي حدود مجالهم الجغرافي ، أما الأسلوبيّة فقد مثلت وجهاً تاريخياً من وجوه تلك المعارضة اليائسة ...

٥ ـ إنّ الأحبار وعلماء اليهود كانوا متحذّرين من معارضة القرآن ، لأنّهم أدهى وأقدر على ألاّ تنكشف مخطّطاتهم في الدسّ والتّحريف فهم لم يأتوا إلى النصّ المعجز بل تماشوا مع النقل والرواية فكانوا أكثر حيطة وأثراً من معارضي العرب المُسَيَّسين .

٦ ـ تعدّ النعرات الإستشراقيّة والهمزات المسيحيّة ليست بغريبة وهم أحفاد الحروب الصليبيّة ، فالعداوة مستحكمة بين من يدعون بعلماء الصليب والفكر الإسلامي الثبوتي مبادىء وأخلاقاً ، ولذا يعتقدون ويعزّزون الجانب المعادي للاسلام أيّاً كانت نزعته فيجدون لدى مسيلمة ضآلتهم المنشودة ولدى المتزندقة في أيام دولة بني العبّاس دلالتهم المطلوبة ولدى سلمان رشدي المعاصر أيضاً مطلبهم العقائدي بلبوس جديد ، وهذا ديدنهم انتقاماً على النّقد الإسلامي المبرّز لهم في صريح القرآن الكريم ...

٧ ـ احتمالية أنّ التّربيب اللّغوي قد بلغ أوجه في عصر النّزول ثم انهارت اللّغة بعد ذلك وكأنّها قد أدّت مهمتها ـ بتدبير الله سبحانه ـ وهذه الاحتماليّة تنفع ((أهل الصّرفة)) في وجهتهم المشهورة لو صحّت ؛ لأنّ اللّغة لو بقيت في خطّها التّصاعدي لاحتملت الإتيان بمثل القرآن وازدياد هاجس المعارضة له لتوافر أداة المعارضة وهي اللّغة القويّة لكنّ ذلك تاريخيّاً لم يحصل لاتّجاه التّطور البشري نحو القضايا العلميّة لا الانسانية ولكنهم وجدوا القرآن معجزاً أيضاً حتّى في المجال العلمي دعك اللّغوي بل أيّ مجال يترأسّ فيه الانسان أويجد فيه أوجاً يجد القرآن

معجزاً فيه وعلى طول المسيرة التاريخيّة ...

٨- وأخيراً: إنّ عدم التّمكن من معارضة القرآن أو محاكاته في عقائده وتشريعه وقصصه إلى الأبد متأتٍّ من كونه متكاملاً وفي الذروة من التكامل فهولا ينحو منحىً حركياً باتجاه ذلك لأنَّه قد تربع على عرش التكامل وبذا فهو كتاب مكنون مطمئن قابل للاستثمار من كلّ الجهات.

- وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين –

((الهوامش والإحالات))

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ص٣

(٢) المرسل الرّسول الرّسالة للشهيد محمد باقر الصّدر ص٨٦

(٣) كتاب الحيوان ٨٩/٤ .

(٤) من كتاب حجج النبّوة ضمن رسائل الجاحظ للسّندوبي ص١٤٤ .

(٥) سورة الحجر الآية ٩ .

(٦) إعجاز القرآن للباقلاني ص١٠

(٧) الإعجاز البلاغي ص١٩

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٧٢/١٩-٧٣ .

(٩) تاريخ فكرة إعجاز القرآن ص٢٢ .

(١٠) ينظر : الفنّ ومذاهبه في النثر العربي ص٣٨ ، ٤١ ، وبنية العقل العربي ص٢٤٦ ونقد الخطاب الاستشراقي ٧/٢ .

(١١) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة للرّافعي ص١٣٧ .

(١٢) ينظر : الرّوض الآنف في تفسير السّيرة النّبويّة المجلد ٤ /٢٢٠ .

(١٣) ينظر : الأغاني ٢١/هامش ص٢٦ ، والروض الآنف المجلد ٢٢١/٤

(١٤) إعجاز القرآن للبا قلاني ص٢٣٩ . وينظر : إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ص١٩٨ .

(١٥) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ص٢٠١ .

(١٦) الاغاني ٢١/ ٣٨

(١٧) الإعجاز القرآني والبلاغة النّبَويّة ١٩٩ ، وينظر ، الروض الآنف المجلد ٢٢١/٤ ، ٢٢٦

(١٨) ينظر : المغني للقاضي عبد ا لجبار ((في احتمالاته حول صحة المعارضة وتأثيرها.. وهنا نلحظ أن أغلب من قال بالصرفة قبله وبعده قال بتعذر المعارضة حتى يقوّموا لها قوامها ويشيدوا دعائمها فهي لا تقوم إلا بهذا الادعاء..)) الجزء الخاص بإعجاز القران ٢٦٠/١٦- ٢٦٣ والموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة) ص٢٨٥-٣١٧ والإعجاز البلاغي ص٧١ ، ونقد الخطاب الإستشراقي وعلى سبيل المثال فصل (المستشرقون والقرآن الكريم) ٣٥٦/١-٣٥٩ ، و(الإسلام في مرآة الغرب) المقدّمة ، وص١١-١٩ ومبحث (الآيات الشّيطانيّة) ص١٢٥-١٤٧ .

(١٩) الإعجاز البلاغي ص٧٣ .

(٢٠) إعجاز القرآن والبلاغة النّبَويّة ص٢١٦.

(٢١) الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٣٨٥/٣ .

(٢٢) إعجاز القرآن والبلاغة النّبَويّة ص ٢١٤-٢١٥ .

(٢٣) الظاهرة القرآنيّة - المقدّمة لمحمود محمّد شاكر ص٢٦ .

(٢٤) بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٥٠ .

(٢٥) كتاب الحيوان ٥٣٠/٥ ، بتحقيق عبد السلام هارون .

(٢٦)بيان إعجاز القرآن ص٥١ ،وفي إعجاز القرآن للباقلاني : لم يخرج عن إلّ ، أي - كما يقول - عن ربوبية .ص٢٤٠ .

(٢٧) بيان إعجاز القرآن ص٥١ ، وينظر : النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص٩٠ .

---

(٢٨) إعجاز القرآن ص٢٣٨ .

(٢٩) الآء الرحمن في تفسير القرآن ٨/١

(٣٠) إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة ص٣٣٢ .

(٣١) بيان إعجاز القرآن ص٥١ -٥٢ وينظر : النكت في إعجاز القرآن ص٩٠ .

(٣٢) الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١ .

(٣٣) كتاب دلائل الإعجاز ص ٦١-٦٢ .

(٣٤) دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن ص٦٦ .

(٣٥) بيان إعجاز القرآن ص٦١-٦٢ .

(٣٦) إعجاز القرآن ص ٢٤١ .

(٣٧) بيان إعجاز القرآن ص ٥٢-٥٣ .

(٣٨) الإعجاز القرآني بين الظنّ والتّحقيق (بحث) ص٢٦٣ .

(٣٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٥٢/٨.

(٤٠) بيان إعجاز القرآن ص٦١ .

(٤١) الإعجاز البلاغي ص١٨-١٩ .

(٤٢) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

(٤٣) ينظر : الإعجاز البياني للقرآن ص٦٣ .

(٤٤) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٩ ، وهنا إشارة لقوله تعالى : ((وإنّهُ كانَ رجالٌ من الإنس يَعوذونَ برجالٍ من الجنّ فزادوهم رَهقا)) سورة الجن الآية ٦ .

(٤٥) سورة القصص الآية ٣٦ .

(٤٦) سورة الأنفال الآية ٣١ .

(٤٧) مفهوم الأسلوب في التراث (بحث) ص٥٤ .

(٤٨) سورة الكوثر الآيات ١-٣ .

(٤٩) إعجاز القرآن ص ٣٦ .

(٥٠) الرسالة الشافية في الإعجاز ص٦٢٥ .

(٥١) بيان إعجاز القرآن ص ٦٣ وينظر : دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن ص ٦٢-٦٣ .

(٥٢) سورة المؤمنون الآيات ١٢-١٤ .

(٥٣) الإعجاز القرآني والبلاغة النّبويّة ص ١٥٠ .

كشاف المصادر والمراجع :

- خير مانَبْتَدىءُ به القرآن الكريم .
- الآء الرحمن في تفسير القرآن : محمد جواد البلاغي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت . لبنان . د. ت
- الاسلام في مرآة الغرب (محاولة جديد في فهم الاسلام) . كارين آرمسترونغ ترجمة محمد الجورا - (ط٢) دارالحصاد للنشر والتوزيع - سورية دمشق ٢٠٠٢ م.
- الإعجاز البلاغي (دراسة تحليلية لتراث أهل العلم) - (د. محمد محمد أبو موسى) (ط١) مطابع المختار الاسلامي ، نشر مكتبة وهبة - ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م..
- الإعجاز البياني للقران ومسائل ابن الأزرق - لبنت الشّاطئ، د. عائشة عبد الرحّمن - دار المعارف ، مصر ١٩٧١م .
- الإعجاز العلمي للقران بين الظنّ والتّحقيق (بحث) - د . عبد الجليل عبد الرحيم / بحوث المؤتمر الأوّل للإعجاز القرآني المنعقد ببغداد - مطبعة الأمّة بغداد ١٤١٠هـ -١٩٩٠ م.
- اعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني / تحقيق : السّيد أحمد صقر / دار المعارف - القاهرة .
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية - مصطفى صادق الرافعي ، (٦ط) مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - شرحة وكتب هوامشه الاستاذ عبد علي مهنا والاستاذ سمير جابر (ط٤) دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- بنية العقل العربي - محمد عابد الجابري (ط١) مركز دراسات الوحده العربية - بيروت ١٩٨٦م .
- بيان إعجاز القرآن - لأبي سليمان حمد بن محمد الخطّابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام - دار المعارف - مصر - .
- تاريخ فكرة إعجاز القرآن - نعيم الحمصي - دمشق ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
- الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ط٢) دار الكتب المصرية ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م .
- دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن - الدكتور المحمّدي عبد العزيز الحّناوي (ط ١) دار الطباعة المحمّديّة - القاهرة / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- الرسالة الشّافية في الإعجاز - تأليف عبد القاهر الجرجاني ، مطبوعة مع كتاب دلائل الإعجاز - الشركة الدولية للطباعة - القاهرة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
- الطرّاز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - يحيى بن حمزة العلوي - مطبعة المقتطف - مصر ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م .
- الظاهرة القرانية لمالك ابن نبي (ترجمة عبد الصبور شاهين) ط٣/ دار الفكر - بيروت ١٩٦٨.
- الفنّ ومذاهبة في النّثر العربي - تأليف الدّكتور شوقي ضيف ، (ط ٩) دار المعارف - مصر .
- كتاب الحيوان لابي عثمان عمروبن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون (ط ٣) المجمع العلمي العربي الإسلامي - بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .
- كتاب دلائل الإعجاز - للشيخ الامام أبي بكر عبد القاهر الجرجاني - قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر (ط ٥) الشركة الدولية للطباعة - القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- المرسل ، الرسول ، الرسالة : للشهيد محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات / بيروت - لبنان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

- المغني في ابواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار الاسد ابادي الجزء السادس عشر (اعجاز القران) قوم نصه امين الخولي ط١ / مطبعة دار الكتب- القاهرة - ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.
- مفهوم الأسلوب في التّراث (بحث) - لمحمد عبد المطلب - مجلة فصول تصدر عن الهيأة المصرية العامة للكتاب - المجلد السابع العدد (٣) لسنة ١٩٨٧ .
- من كتاب حجج النّبوّة ، للجاحظ ، طبع ضمن رسائل الجاحظ جمعها ونشرها حّسن السّندوبي(ط١) - المطبعة الرحمانيّة - مصر / ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م .
- الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرفة)، للشريف المرتضى: علي بن الحسين الموسوي، تحقيق: محمد رضا الانصاري القمي- (ط١) مؤسسة الطبع والنشر التابعة للإستانة الرضوية المقدسة ، ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢ش
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان ا لدين أبي الحسن البقاعي خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق غالب المهدي -(ط٢)- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- نقد الخطاب الاستشراقي ، (الظاهرة الاستشراقية واثرها في الدراسات الاسلامية) الدكتور ساسي سالم الحاج - (ط١) دار المدار الاسلامي - بيروت - لبنان ٢٠٠٢م .
- النكت في إعجاز القرآن ، للرمّاني – ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن – تحقيق وتعليق محمدّ خلف الله ومحمد غلول سلام – دار المعارف – مصر.